2

الفاجومى

أنا أحمق من الحماقة

- أمي كانت تقول لي الراجل ما يبلعش لسانه
- كنا في الكتاب طبقات.. فرقة القمح وفرقة الدره وبتوع الشعير اللي كنت بتشرف عمل لواءها
- استطعت أن أفرض احترامي على كلاب العزبه عدا كلب واحد.. اسمه كلب كانو
- سيدنا قال إن كلب أهل الكهف اسمه قطمير وهو سيد كلاب الأرض

■ ■ ■

obeikan.com

obeikan.com

من بين المواهب العديده اللى حبانى بيـها سبحانه وتعالى مشكوراً مـوهبة الحماقه ولا فخر.. ويمكن المرحومه أمى ساهمت فى تطوير وتنمية الموهبه دى عندى من باب الإعجاب.

مثلاً!

أنا فاكـر وإحنا عيـال لما كان عيل من إخـواتى تصدر منه هفـوه.. كان يتـحاسب حساب الملكين.. والإش بقى لو فاته فرض ربنا.. ياداهيه دقى.

- قوم ياكـافر يابن الكافر يا تارك الصـلا ياقليل الدين ماتكلش مـعانا. وتحط له ياكل لوحده زي الكلب .. والكل يبقي شمتان فيه..وأولهم انا طبعًا.

وأنا يا مبـارك لا صلا ولا صوم ولا حـيا.. ودايـر زى العقـربه ألوش فى خلق الله شـمـال ويمين.. وأشخط وأسـب الدين.. وهى فى الطناش المسـوجـر.. وأحيـانًا مـا تقدرش تدارى إعجابهـا فتضحك بفخر! ولو عيـل من إخواتى سأل.. حتى من باب العلم بالشىء:

- إشمعنى ده؟

تقول له:

- دا عيان ومجنون وعنده داء الدفعه.

ودا صحيح مع الأسف.

أنا ركّك بس الـهـوا يصـفـــر فى ودانى.. آخـد فى وشى زى الجـــمل لاطرش.. ومطرح ما ترسى أدق لها.. عمرى ما شلت فى قلبى لحد.

- تكفى العايب عيبته.

هى اللى كانت تـقول كده.. وكـانت تقول لى: الراجل ما يبلعـش لسانه.. واللى إيدك مش فى مقطفه عفريت يلهفه.. واللـي إيدك مش في قفصه ضربه تقطع نفسه..

واللى عينه مش مكسـوره يقدر يقول عينك حـمرا يا غوله.. إلى آخر تراث الحـمقى اللى أعتـقد أن السيد المسـيح عليه السلام سمـاهم ملح الأرض.. عمرى ما حـسبت حـساب بكره.. الله جـاب الله خد الله عليـه العـوض.. الله يرحمك يا حـاج عبـده يا دمرداش.

شيبتنى يا زمن

وأنا ما استحق الشيب

وخدت منى الحبايب

ولا اختشيت العيب

حوشوا الغنم

عن عليق الجمل

أحسن دا يبقى عيب

لو كان جمل فى جمل

ماكانش بقى عيب

وأجْوَدْ ما فى الفتى

جيبه

وإن لطش الزهر

الفقر ماهوش عيب

والحاج عبـده ده كان فنان شعـبى مالوش حل.. كان جاهل بالقـرايه والكتابه زى المرحومه أمى.. لكن مواويله اللى كان بيرتلهـا أو بيألفها على مهله أو حتى اللى كان بيختارها ويغنيها تشهد له بأصالة الموهبه وسلامه الذوق..مثلاً:

يا جنه الملتقى

obeikan.com

مين فات سأل عنَّا

ومين عطف بعدنا

ع الورد يا جنه

داللى نساكى اتنسى

واللى جنى اتهنى

وأنا اللى طبعى الوفا

ما أقدرش أنساكى

ياريت تعود الليالى

وننسى ما جرى منَّا

كـان قهـوجى كل عـلاقتـه بالمزيكه إنـه سمع شـاعـر الربابه وبعـدين مكنة الفنار وبعـدين الراديو ومع ذلك كانـوا الملحنين الأفذاذ على زمـانه أمـثال الشـيخ درويش الحريرى والشيخ زكريا أحـمد والشيخ إسماعيل سكر والصبيتـه العظام أمثال الشيخ على محمود والشيخ محمد رفعت والست فتـحيه أحمد والشيخ أحمد ندا وغيرهم دول كانوا زباين قهـوته ليلاتى ولما كان يبقى سهـران فى فرح يروحوا له بربطة المعلم ويسهـروا صباحى مع الهنك والرنك والعُـرَبْ والعفقات الحـراقه وكل فنون الطرب والأداء المعجز السـاحر من فنان أصيل متـمكن ما جاتش سيـرته «لحسن الحظ» على سن قلم هلفوت من هلافيت الـصحافه والأدب والإذاعه والتليفـزيون.. الشيخ إمام مره قال لى عنه:

- الحاج عبده ده يابو النجوم مشكل.

فقلت له:

- ليه يا إمام؟

قال لى:

- فطاحل شـعـراء البلد بيعـدوه واحـد منهم وعـتاولة الطـرب والمزيكه فى البلد بيعدوه واحد منهم وهو سبحان الله ماكانش عارف قيمة نفسه.

قلت له:

- وإنت إيه رأيك فيه؟

قال لى:

- ما أنا باقول أهه.. هو أنا باتكلم رومى؟!

ونوادر الحاج عبده الدمرداش ماتقلش حلاوه عن فنه.. مثلاً..

هو كـان زى حـالاتى ضعـيف جـداً أمـام سحـر بنات أمنا حـوا رضى الله عنهـا وأرضاها ويبدو أنه كان مـتقلب المزاج يعنى متعدد العـلاقات.. برضه زي حالاتي.. وفي ليله من ذات الليـالي كـان سهـران في فـرح.. وكان الـشادر اللى حـيـغنى فيـه منصوب تحت شباك الدنياره اللى كان هو لسه دالقـها من أسبوعين.. صاحبتنا خدت خبر اتحفـفت واتزوقت على سنجة عشره ولبست قميص مـقور ماركه «عش النمل» اللى هو عدم المـؤاخذه لا يبيِّن ولا يخـبى وقعـدت ع الشباك، ونزّلت ابنهـا الصغـير يلعب قـدام الشادر عـشان تشـغله سلك تليـفون توصل من خـلاله الرساله للحـاج عـبده.. وهو دا بقى فن التـلقيح اللى أبدعـتـه وأبدعت فيـه بنت البلد المصـريه اللى حيرت عمنا بيرم العظيم ونزلتـه من بروج الأدب وفرجت عليه اللى يسوى واللى ما يسواش.

لسه الحـاج عبده حيـقول يا هادى.. زعقت صـاحبتنا على ابنـها والكلام ليكى يا جاره:

- ما تطلع بقى ياواد وكفايه سنكحه.. هو إنت لسه فيك نفس يامدهول؟.. اطلع دا إنت سلمت النمر.. وانهد حيلك.. ونفسك انقطع خلاص.

الحاج عـبده طنش واستمـر فى المغنى والسميـعه تقول آه.. إن صاحـبتنا تسكت؟ أبداً.. وفوجئ الناس بالحاج عبده بيبص ع الشباك ويرتجل الموال التالى:

يا نمل نام لى

وسلم لى على نملى

واكتر سلامى

ع اللى لابس

قميص حرير نملى

طلبت منه الوصال

قام بالعجل

نام لى

يا قلبى فُضَّك

من اللى بالعجل بينام

هلبت ما نام لغيرى

قبل ما نام لى

ويقال والله أعلم إن الْمرا خشت والشباك اتقفل إلى يومنا هذا.

●●●

يرجع مرجوعنا ومـوضوعنا للحماقـه اللى ملازمانى ومسبـبه لى المشاكل ووجع القلب أنا كنت فى حدود أربعتاشر سنه يعنى زى ما بيقولوا الشعرا.. فى مطلع الصبا – وفجأه وقـعت قتيل المحبه مـتيم فى هوى السنيوره المدهشه إكـرام بنت عمى سليم شيخ البلـد وابن عم أبويا.. وربنا يجازى اللى كـان السبب. ولاد الكلب اسـتلمونى ونزلوا زن على ودانى.. وِدْ وِدْ وِدْ وِدْ وِدْ وِدْ.. أمها تقول وأمى ترد عليها:

- إكرام وفؤاد موهوبين لبعض.

- يا مرحبا ياختى هى حتلاقى عريس أحسن منه؟

- ولا إحنا ياختى حنلاقى عروسه أحسن منها.. ربنا ياختى يكملها بعقلها.

- وشوفى تصاريف ربنا.. لتنين يتولدوا سوا فى يوم واحد.

- النصيب غلاب ياختى..النصيب.

إدينى عقلك بقى.. قالوا يا جحا حتعيا بالسخونه.. قال لهم: فاضى ورايق لها.. وكان بينافسنى فى هوى إكرام سعيد ابن عمى عثمان.. اللى هو برضه شيخ بلد وابن عم أبويا يعنى كلنا على بعض كده كان زيتنا فى دقيقنا.

وطبعًا كان كل واحد فينا عنده أسبابه فى هوى المحبوبه وله أسلحته فى المنافسه.. أسبابى أنا كانت كثيره من أهمها مثلاً الجلاليب اللى كانت بتلبسها مش السواد الأصلى الجربان اللى لابساه بقيه بنات العزبه.. وكان شعرها سايح وأسود ومغطى نصها الفوقانى وأكيد كان خالى الحشرات المستوطنه بكثافه فى شعور بنات الفلاحين.. وكانت تلميذه فى مدرسة أبو حماد الابتدائيه وكانت بترطن بالإنجليزى.. وبتلعب طاوله وبتغلب أجعصها راجل.. وكانت بتتكلم وتضحك بصوت غناج.. حاجه كده زى المنجايه اللى من غير بذر يعنى بالصلاع النبى كده كانت نتايه تهيج الحجر.. وأنا مش حجر.. دى بعض الأسباب.. أما أسباب أخونا سعيد فمكانش يعلمها غير اتنين.. هو وعلام الغيوب.. نيجى بقى لأسلحته نلاقيها كتير.. أبوه عايش وشيخ بلد وعليه طين.. كانت أملاك أبوه تتعب فيها العين ما تجيبش آخرها.. علاوه على كده كان تلميذ فى أبوحماد الإبتدائيه ومستقبله مضمون زى الجنيه الدهب، أما العبد الفقير فكان سلاحى الوحيد إن إكرام بتحبنى.. كانت دايمًا تقول لى:

- إنت عفريت.. وانا بحب العفاريت.

غير كده.. الفاتحه للنبى أنا كان باطى والنجم لا أب ولا طين ولا مدرسه ولا

مستقبل ولا يحزنون.. مع إننا ولاد عم.. ماتعرفش قسموها إزاى.. ومين اللى قسمها كده؟ ولما رحت أسأل الشيخ أبو عطيه باعتباره إمام المسجد وشيخ الكُتَّاب ومندوب ربنا فى أرضه قعد يبص لى بدهشه من فوق لتحت ومن تحت لفوق والآخر تف ع الأرض فى اتجاهى وقال لى:

- إنت فيك بذره شيطانيه والعياذ بالله.

وزى عوايده حب يدعم فتواه بالشعر فراح واخد وضع الاستعداد وتف ونخم واتنحنح ثم أنشد يقول - صلوا على طه الرسول:

ملك الملوك إذا وهب

لا تسألن عن السبب

الله يعطى من يشا

فقف على حد الأدب

يا كافر يابن الكافر

قلت له بمنتهى البراءه:

- استغفر الله العظيم ياسيدنا أنا مسلم وموحد بالله.. إنت بس اللى مش واخد بالك أمى يتقول إن عمامى ولاد الكلب أكالين السحت هما اللى كلونا ونهبونا على حياه عين أبوياوبعد أبويا ما مات طالعين على أمى زى الديابه عايزين ياكلوا لحمها حي.

قال لى:

- أمك دى مره مهروشه والحشيش لحس مخها.

قلت له برضه بمنتهى البراءه:

- يظهر إن كلامك صحيح يا سيدنا.

ابتسم لأول مره وقال لي:

– ليه ياولّه؟

قلت له:

– دنا باقول لهـا ماتزعليش يامه وانا ح أخلّى سيـدنا يفضحهم ع المنبر فى صلاه الجمعه قعدت الأول تضحك وبعدين فقعت بالصوت فى وشى وقالت لى:

– جاك شهر حزن وشهرين نيله عليك وعلى سيدنا بتاعك وقالت عليك يا سيدنا إنك راجل بكرش وبتـاكل على طبليه وإنك بتـفتى ع النمله و تبلـع الجمل... وإنك مش حـتـعـــرض على جنه ولا حـتـنـدفن فى طرب مـسلمين لأنـك راجل ابن كلب ضلالى وشبيه عرعر وذمتك يرمح فيها الخيال.

ولسه ح اكمل راح صارخ فى وشى:

– بس كفايه يابن الزوانى.. إنت مين مسلطك علىّ النهارده؟

ودخل الميـضه جاب شـومه وفـضل يجرى ورايا فى الغـيطان لما انقطع نفـسه ولما يأس من إنه يلحقنى قعد على قرافيصه فى حوض الباميه وقال وهو بينهج:

– حسبى الله ونعم الوكيل فيكو يا عيله نجم م الباب للمحراب.. اسفخص عليكو عليه نجسه.

●●●

نرجع للحب الأول وحماقاته.

كانت عصريه جميله من عصارى الربيع اللى كان بيلبس أحلى وأغلى الملابس لما ينزل كل سنه فى ميعـاده على عزبة أبو نجم الغرقانه فى الخـضره والميه طول السنه... كنا قـاعدين فى ملقف نـسيم العـصارى على كـوبرى ترعـة الملاك تلاته وربنا رابعنا حبيبه القلب إكرام والعذول سعيد ابن عمى وأعوذ بالله من قوله أنا... مش فاكر كنا بنتكلم ولا ساكتين وفجأه قالت المحبوبه بمنتهى الدلال:

– غنى يافؤاد... أنا با حب صوتك.

يا نهارى زى بعضه... طب حط نفسك مطرحى... تعمل إيه؟

أنا فى هذه الأثناء كنت يوميًا أسمع أغانى فيلم يحيا الحب من راديو عمى سليم أبو بطاريه سايله.. كان فيه تلاته فى البلد.. واحد فى سرايه العمده وواحد فى دكان أبو عبد الله بقال التموين.. والتالت اللى هو فى دار أبويا سليم.. الراديو ده كان فيه شبه كبير من دولاب الشعريه اللى بينزل البلد كل رمضان.. وكانت البطاريه بتاعته أكبر من بطاريه العربيه ومليانه ميه نار وكانت لما بتفضى نروح نملاها من مكنة الطحين ؟ بالعباسه ويعلم الله إنى لغايه وقتنا هذا مش قادر أفهم إيه علاقة مكنه الطحين ببطارية الراديو ومية النار؟

وكان فيلم يحيا الحب بطولة مطرب الملوك والأمراء الأستاذ محمد عبد الوهاب اللى كانت الجماهير بترشحه لرتبه البكويه أسوه بچورج بك أبيض وسليمان بك نجيب.. لكن الملك ماكانش راضى ينعم عليه بالرتبه.. لأنه «حسب كلام عبد العزيز أخويا» كان بينافسه فى النسوان.

وكانت البطوله للآنسه ليلى مراد اللى اعتبرها عبد العزيز أخويا أكبر اكتشاف فنى وأجمل صوت نسائى بعد الآنسه أم كلثوم واللى بعد كده قدرت تدخل للقلوب بصوتها الدافى الساحر وأغانيها اللى أصبحت لسان حال العشاق من الجنسين حتى فى العزب والنجوع لأنى بعد كده كنت باسمع أغانيها بصوت أمى الجميل!

ولما كان عبد العزيز أخويا بيبعتنى بجوابات الغرام لفوزيه بنت عمى كنت بافتحها فى السكه واقراها.. فكنت دايمًا ألاقى كلام من أغانى الآنسه ليلى مراد بين السطور.

القصد.. نرجع لكوبرى الملاك.

هى قالت لى:

– غنى يا فؤاد أنا باحب صوتك..

وأنا طلعت زى البندقيهالخرطوش:

يادى النعيم اللى إنت فيه يا قلبى

من بعد العذاب

كان لك حبيب تشتاق إليه

وارتد لك بعد الغياب

أنا أغنى وهى تقول:

- الله.. تانى والنبى يا حماده عشان خاطرى.

أعيـد تانى.. لحد مـا وصلنا للجو راق وارتاح البـال.. العزول مـاطاقش روحه.. راح قايم رامى نفـسه فى الترعه بهـدومه.. وبدأ يغطس ويقب ويقلل.. وأنا فـرحان وحاسس بالزهو.. وفوجئت بإكرام بتصرخ:

- إلحق يا فؤاد.. سعيد بيغرق.

أنا بقى يا سيـدى اللى ما انت فى هذه الفتره كـان حصل لى شرف دخول سـيما أبولون فى الزقازيق حوالى سبع تمن مرات.. ويشـاء السميع العليم إنى كل ما أدخل السيمـا ألاقى طرزان.. كان جدع طول بعرض ولابس مـايوه جلد نمر وساحب وراه قرد اسـمه شيتـا وطايح فى الغابه.. يزعق الزعـقه «عا عا عـا» يزلزل حيطان السيـما ويسيب مفاصل الجمهور.

وأجدع حاجه كانت بتعجبنى فى عمنا طرزان.. كان يقف ع الشجره ويزعق «عا عـا عـا» ويروح ناطط.. سـمكه.. فى الميـه ويغيب تحت الميـه وبعـدين يقب تمسـاح ويفضل يعوم والقرد وراه.. والتماسيح تشـوفه تخلع.. وكل تمساح يستخبى فى زؤر والعيال تسقف وتصفر فى الترسو تضامنًا مع الشجيع ضد التماسيح.

بس يا سيد.. هى قالت لى:

- الحق يا فؤاد.. سعيد بيغرق.

وأنا فى لمح البصر كنت مـالخ الجلابيه السحو وعـامل إديا على بقى قرطاس وعا عـا عـا ورحت قـازح من فـوق درابزين الكوبرى.. أولاً آخذ بـنط على غريمى أمـام

المحبوبه.. وثانيًا أنقذ غريمى من الغرق فى مبادره رومانسيه تسجل اسمى بحروف من النور فى كتاب العشاق الفرسان.

وإذ بى يا مبارك وانا بين درابزين الكوبرى وصفحه النهر أتذكر إنى ماباعرفش أعوم.. وصرخت من معاميعى:

آه.. يا لهوى يامه.

وانقطعت أخبارى تحت الماء على رأى عبد الحليم.. لحد ما فقت على المنقذ الشهم اللى هو الغفير النظامى إبراهيم الطيب معلقنى من رجليا زى الدبيحه وبينطقنى بغباوه.. الاسم بيصفينى من الميه.. لكن الحقيقه هو كان بيصفى حسابه معايا لأنى من يومين بس.. كنت ماسك محمد ابنه ومطفحه الدم واحنا بنلعب الحكشه والدليل على سوء نيه المنقذ إنه طلع سعيد ابن عمى الأول وصفاه بحنيه واندار علىَّ علقنى وهاتك ياتنطيق وكل تنطيق بخزرانه على ضهرى.. وابن الحرام لما حس إن أمى جايه من بعيد تصوت وتولول زاد فى الضرب وهو بيقول:

- هيه أمك الغلبانه ناقصه حزن - طاخ - تحرم ياد تنزل الميه - طيخ - أشوفك فى الترعه تانى ح اهرى بدنك - طوخ.

وبنت الكلب حبيبه القلب ميته من الضحك.. وهو دا اللي وجعنى أشد من لسع الخرزان على رأى عنتر بن شداد رحمه الله عليه.

حماقه تانيه كان ممكن بسببها أروح فى الكازوزه وابقى مفيش.. لكن بقى على رأى أمى.. عمر الشقى بقى.. ولا يقعد ع المداود إلا شر البقر.. تقصدنى طبعًا.

الشيخ أبو عيطه شيخ الكتاب الآنف ذكره .. كان راجل جهول وغليظ وربنا ماحطش فى قلبه أى نوع من أنواع الرحمه.. طول ما احنا قاعدين فى الكتاب نازل فينا ضرب عمال على بطال وكأننا قتلنا لأمه قتيل .. وولاد الكلب أهالينا هما اللى شجعوه ع الخصله السودا دى.. يعنى مثلاً تلاقى راجل قد الفلق جاى وساحب عيل عنيه معمصين وبربوره مدلدل ووشه أصفر ومكرَّش م البلهارسيا وضلوعه تنفد من تحت الجلابيه الوسخه اللى لابسها وحافى وحالق إنجليزى ويقول له الواد ابنى اهه

ياسيدنا عايز يختم المصحف فى سنتين.. وعنى أنا أبوه باقول لك.. إكسر وأنا أداوى «شوف الخيابه».

ولو عيل مننا استجرا واشتكى لأهله يقولوا له:

- يا بختك ياهناك.. دى عصايه الفقى من الجنه.

ومن علمنى حرفًا صرت له عبدًا وإلى آخر الكلام اللي مش جايب همه ده.

وكـانت أجره سـيدنا بتندفع له ع المحـصول.. الـغنى يديله ع الراس كيله قـمح والمستور كيله دره والفقير الكحيتى كيله شعير.

وكان ابن الزنا مقسم قعدتنا فى الكتـاب.. تقسيم فئو ى.. بتوع القمح دول أهل اليمين يقعـدوا ع اليمين وبتوع الدره دول بتوع وجعلناكم أمَّـةً وسطا.. دول يقعدوا فى النص وبتوع الشـعير دول أهل الشـمال والعياذ بـالله يقعدوا ع الشمـال وكانت فرقه القمح هى - جلاب الطيب - بالنسبه لسـيدنا.. كل يوم الصبح يجيبوا له مالذ وطاب من البـيض والزبده والجبنه والـفطيـر المشلتـت والقـشطه وعـسـل النحل.. وخـلافه.. هو كـمان كـان عامل بالمثل الساير.. إطعم الفُم تستحى العين.. كـان بيحترمهم بشكل دنيء.. كان يقول للعيل فيهم واحنا مروحين:

- مع ألف سـلامـه ياسى فلان.. بلـغ احتـرامى للسـيـد الوالد والست الوالده.. وماتنسـاش تقول للحاجـه.. تحضر لنا فـضله خيرها بكره.. أنا جـاى اقرا الراتب إن شاء تعالى.. مع ألف مليون سلامه.

وفرقه الدره كانوا ينضربوا أحيانًا بس إيه؟.. ضرب الغزيه فى حمارها.. ودا كان بيحصل فى حاله الغلط الشديد أو الإصرار على عدم الحفظ.

أما فـرقه الشعيـر اللي كنت باتشرف بحمل لـواءها الخفاق فدى كـانت الهدف الدائم والسهل والمباشر لشومه سيدنا ولسانه اللى زى المبرد.

كان عنده كنز لايفنى من أسماء التدليل اللى كان بيخصنا بيها:

- ياولاد الكلب يـا جـامـوس أبيض.. يابـقـر وياولاد البـقـر.. يـاخنازير ياولاد الخنازير.. يابـهـايم ربنا ياولاد البـهـايم.. ياحـشـالة الحـشـالـه يارمم.. يازوانى ياولاد الزوانى.. وكان دا كلـه يهون جنب شطحات الجنـون اللى كانت بتلبس جـتته فـجأه فيقلب لنا الكتاب دندره وسبحان المنجى.

يعنى مـثلاً كنا نبـقى قاعـدين فى أمان الله وبنحـفظ فى كلام ربنا العـزيز ونفـاجأ بالشـومـه نازله على دمـاغ أو وش أو دراع أقرب عـيل من فـرقـه الشـعيـر مكومـاه مطرحه!

وبعدين نكتشف إن ده مجرد هزار وسيدنا بيضحك ويقول للضحيه:

- أمك قالت لأبوك إيه ليله الجمعه ياواد.. آه يابن المرا اللى مابتقولش لأ.

ويروح راقعـه شومـه تانيه وهو مـتكوم - على سبـيل المداعبـه - ويروح ضاحك وباصص لنا - وتضحك فرقه القمح وفرقه الدره وبعض فرقه الشعير فينشكح سيدنا ويتهيأله إنه كده يبقى دم أمه خفيف!

وياويل العيل اللي يظبطه سيدنا متلبس بعدم الضحك.

وكان مـعانا فى الشعيـر عيل اسمـه محمود عـرفه.. الواد كان مـاسكه مرض أبو النوم .. كـان بينام وهو قـاعد وينام وهو واقف وينام وهو مـاشى.. ودا كـان بيشـيل تلتين هزار سـيدنا لوحده.. وبـرضه يرجع ينام.. وفى ذات مـره جت لسيدنـا الطوفه أثناء ما عـرفه كان نايم.. فـوجئنا بسيـدنا فازز منتور عـلى حيله وقال بدون مناسـبه وبصوت منغم:

كلا الأخوين مظراط ولكن شهاب الدين أظرط من أخيه

وأثناء مـا كان سيـدنا بيـتمايل وهـو بينشد لمح عـرفه نايم فـاتجه ناحـيتـه وزغده بالشومه فى رأس قلبه:

- فاهم ياعرفه؟

وقام عرفه مفزوع وقال له:

- نعم يا سيدنا؟

قال له:

- شهاب الدين؟

قال له:

- ماله ياسيدنا؟

وكز سيدنا على أسنانه وقال له:

- أظرط من مين ياعرفه؟

قال له:

- مش واخد بالى يا سيدنا.

ونزلت الشومه على ضهر المسكين زى المرزبه وسيدنا بيقول له:

- من أخيه يابن الكلب يا بقره.

وقفز عرفه فى الهوا من ألم الضربه وهو يصرخ:

- من أخيه يابن الكلب يابقره.

وضج الكتاب بالضحك القمح والدره والشعير ماعـدا سيدنا اللى اعتبر إن عرفه بيقصده بجمله يابن الكلب يا بقره وفضل يضرب فيه لحد مانام.

شوفوا خفة الظل!

نيجى بقى لموضوعى.

كان يوم مايتنسيش.. يوم أغبر ما طلعتلوش شمس.

قاعدين فى الكـتاب منهمكين فى الحفظ وإذ بالطوفـه تيجى لسيدنا فـيروح منتور على قزحه ويسألنا بدون أى مناسبه:

- فيه خمس أشياء حيخشوا الجنه عارفينهم ياولاد الكلب يا بقر؟

- لا يا سيدنا.

فابتسم ابتسامه النصر.. وبدأ يتكلم بلهجه العالمين ببواطن الأمور وقال:

- غراب سيدنا قابيل.. وناقه سيدنا صالح.. وحوت سيدنا يونس وعصايه سيدنا موسى.. وكلب أهل الكهف.

أنا اللى علق فى دماغى كلب أهل الكهف من وسط الهلمه دى.. ليه بقى؟

أنا فى هذه الأثناء كان بينى وبين كلاب البلد حرب ضروس ومشاكل مالهاش أى حل.. حرب أنا مابدأتهاش.. ويعلم الله أنى كنت متلهف على وضع حد ونهايه لها.. لكن الأمور كانت كل يوم تسير من سئ إلى أسوأ بحيث انضربت كل فرص السلام بينى وبين كلاب البلد.

يعنى مثلاً لو سيادتك ماشى فى أى وقت من أوقات الليل والنهار فى عزبة أبو نجم وسمعت كلب بيعوى أو بيصرخ مستجير.. حتلاقينى هناك.. غفل له شويه أو سهى عليه وهو ماشى أو ركن جنب حيطه وحط دماغه بين رجليه وخدله تعسيله أروح منقض عليه أسرع من لمح البصر لايشه حجر أو عصايه أو شلوت يصرخ ويحط ديله بين وراكه ورجليه ماتعلمش ع الأرض - بس وهو بيجرى يتلفت يلمحنى - وكرد فعل طبيعى وعادل كنت دايمًا وأنا ماشى بالليل فى الضلمه أفاجأ بجسم غريب بينط فى كرشى ع الساكت يبعترنى طبعًا.. وقبل ما ألم نفسى يكون اختفى من غير ما أتأكد من شخصيته.

ولو سعادتك مثلاً فى الليالى اللى مافيهاش قمر سمعت مجموعة كلاب بتنبح بضراوه وبلهجة انتقام يبقى دا معناه إن أخوك محاصر فى حته مافيهاش طوب وموقفه حساس.. إلى أن يأتى الله بالفرج فى هيئه شخص معاه عصايه يهشهم عنى بس بعد ما تكون صواميل ركبى سابت من بعضها ومنظرى بقى لا يسر عدو ولا

حبيب وعشان كده كنت بالنهار باخد العاطل بالباطل.. وبكده قدرت أفرض احترامى على كلاب العزبه كلب كلب اللهم إلا كلب واحد.. اسمه كلب كارنو.

وكارنو دا كان واحد من مئات الأوروبيين اللى كانوا مستوطنين الريف المصرى قبل وأثناء وبعد الحرب العالميه الثانيه بعضهم كان فاتح خمارات وبعضهم كان فاتح محلات بقاله وبعضهم كان عامل مكن طحين أو مكن رى وكان أقربهم لقلوب الفلاحين المصريين اليونانيين بالذات.. وكان كل الخواجات دول ساكنين فى سرايات على النظام الأوروبى.. صحيح مبنيه بإيدين الفلاحين المصريين.. لكن الهندسه كانت أوروبيه.

كانت كل السرايات نظام واحد.. اللون الأبيض.. والجنينه اللى محاوطه السرايه وفيها من خيرات الله ما لذ وطاب.

أنا شفت سرايه الخواجه كارنو صاحب الكلب المذكور وشفت سراية الخواجه مرشاق اليهودى الشامى اللى كان ابنه فريد بيه صديق شخصى للملك فاروق وكان بيلعب معاه قمار ونسوان وخلافه.

وسراية الخواجه باسطوليا اليهودى الفايظجى اللى سلف أبويا إبراهيم «عمى شقيقى» تمنتاشر جنيه بالفايظ وفضل المسكين يسدد فيه تسع سنين ومات ولسه عليه من أصل المبلغ اتنين وتلاتين جنيه!

وشفت سراية الخواجه أنطون أو ألطون زى ماكنا بننطقها.

الخواجه مرشاق كان عامل جنينة حيوانات صغيره خارج جنينه السرايه.. وكانوا أهالينا كل شم نسيم يلبسونا هدوم العيد اللى فات ويبعتونا نعيد ع الخواجه والمدامه بتاعته.

كنا نقوم الصبح بدرى نلاقى البصل الأخضر تحت روسنا نشمه الصبح ونلبس ونتجمع قدام سراية العمده ونتكل على الله على عزبة مرشاق على بعد حوالى أربعه

كـيلو.. نخبط على باب الجنينه الخشبى يـطلع لـــنا الخـدام سيـد أبو معـيز يفـضل يشخط فينا شويه بحجة إنه بينظمنا وبعدين يقول:

– إنتوت جايين بدرى كده ليه؟.. الخواجه لسه نايم.. ومش عايز أسمع صوت.. وبعد مانسكت قيمه ربع ساعه يفتح لنا باب الجنينه ويقول:

– ماحدش يتحرك من مطرحه.

ويدخل يغيب شويه وبعدين تطلع الخواجايه وهو وراها فتقول لنا:

– كل سنهوانتو طيبين يا بنات.. كل سنه وانتو طيبين ياولاد.

ونرد فى نفس واحد:

– وانتى بالصحه والسلامه ياستى الحاجه.

ويبدأ سيـد أبو معيز يوزع علينا الخس والملانه والبيـض الملون بعد ما يكون نشف ريقنا وسم بدننا وبعدين يطلع الخواجه مرشاق فى البرانده تروح مسقفين وقايلين:

– هيبه.. فلتعيش الخواجه.

يرجع سيـد أبو معيـز تانى يوقفنا طابور عشـان الخواجه يسـبقنا واحنا نمشى وراه على جنينة الحيوانات نتفرج ع التعالب والقرود والنسانيس والحمار أبو فانله مخططه كل دا والخواجه بيشرح لنا بكلام ماحناش فـاهمين منه حاجه واحنا نسقف وسيد أبو مـعيـز يشتـمنا والآخـر نروح على بيت الغـزلان.. وكان التيس بتـاعهم قـرونه زى الشجره وكان الخواجه مرشاق مسميه شيخ العرب.. يروح الخواجه ماسكه من قرونه ويسحبه منها لغايه مايجيبه قدامنا ويقول لنا:

– هو دا شـــيخ العـــرب ياولاد.. لازم ينســـحب من قـــرونه.. لأنه تمبـل.. ياكل ويشرب وينط ويزبل وينام.. ما بيـعملش حـاجه غـير كـده فى الحياه.. هـو دا شيخ العرب ياولاد.. نروح مسقفين وقايلين.. هيبه.

وبعد الجوله يسألنا الخواجه:

– مبسوطين يا بنات؟ مبسوطين ياولاد؟

ونردد كلنا ورا سيد أبو معيز:

- مبسوطين يا خواجه.. كل عام وإنت طيب والمدامه طيبه وفريد بيه طيب.

فيضحك الخواجه ويقول:

- وشيخ العرب قرونه أطول.

نروح مسقفين يروح سيد أبو معيز كانسنا وهو بيقول:

- ياللا على أمك إنت وهو.. والوداع من عاش.

ونرجع زى مارحنا زى ماجينا.. وكل سنه والخواجه طيب.

نرجع بقى للخواجه كارنو صاحب الكلب الآنف ذكره.

هو كـان عنده مكنة طحين ومكنة ميه وقطعـة أرض زراعيه.. وبـصراحه كـانت جنينة السرايه بتاعته.. هى البريمو على جناين الخواجات.. من المأكولات خد عندك.. برتقان ويوسفندى ولارنج ولمون بنزهير وقشطه خضرا وعنب وخوخ وتين وكمثرى ومشـمش ومانجه وجـوافه وبلح عامرى ومـن المشمومات تمر حنـه على قرنفل على ياسمين على دقن الباشا على ورد بلدى حاجه يعنى سبحان العاطى من غير مناسبه.

وفى يوم من ذات الأيـام اكـتـشف الخـواجـه إن الجنينه بطـلت تطرح.. أو زى ماتقول.. هو اتهيأله كده.. لكن والله الوكيل احنا اللى كنا بناكلها نيَّه.

عملنا فى سور الجنينه منط سرى على شجرة المشمش الكبير «خد الجميل».

أنا فاكر إننا خدنا القرار ده بعد مناقشـات طويله حول حرمانية ودناءة العمل اللى حنرتكبه.. ناس قالوا دا خـواجه والسرقه فيـه حلال استناداً على دعاء خطبة الجـمعه اللى الشيخ أبو عيطه بيقوله ع المنبر وبالتحديد الفقره الخاصه بالكفار اللى بتقول:

- اللهم اجعلهم وأموالهم وأولادهم ونساءهم غنيمه المسلمين.

وناس قالوا السرقه فى حد ذاتها حرام سواء من مسلم أوكافر.. لكن الواد غريب ابن أم تهامى حسم المناقشه بجمله زعم أنها حديث نبوى بتقول:

- ربنا ما يفرح حد واحنا حزانى.

وف ليله سودا ماطلعلهاش قمر وكان أوان المشمش.. نزلنا تلات عيال من المنط. واستنينا احنا فوق.. نراقب لهم الطريق ونشقط منهم.. هما يادوب رجليهم لمست أرض الجنينه وسمعنا صريخهم وفى لمح البصر بقوا فوق تانى وأول رجليهم ما طالت الأرض ماوقفوش.. واحنا وافقين مذهولين.

الواد الأخرانى من الرعب عمل التقيله على روحه وبقى عمال يشر وهو بيجرى ومن باب شر البليه.. ضحكنا كلنا عليه خصوصًا بعد ما غريب قال:

- الواد سيد ابن أمك سعاده مطعون سيخ فى مفساه.

المهم لحقناهم نستفهم منهم.. إيه بقى الحكايه.. أتارى الخواجه ابن الحرام جاب كلب متوحش فى الكتم وربطه فى شجره المشمش خد الجميل تحت المنط وكلفه بحسن استقبال الضيوف.

بس ياسيدى.. رجالتنا نزلوا وجرى اللى جرى.. الواد أبو هنداوى أقسم بأغلظ الأيمان إلى إن مربوط فى شجره المشمش ده مش كلب.. ده بسم الله الرحمن الرحيم وبينى وبينك الواد معاه حق.. فيه كلب قد الكنبه؟ فيه كلب عنيه بتطلع شرار؟ وبعدين دا ماكانش بيهوهو زى بقيه خلق الله.. دا كان بيور.. أى والله كان بيور.. كان بيور الوره والجعيص فينا هو اللى يسبق فى الهرب مع إننا كنا بنبقى متأكدين إنه مربوط.. ولما كانوا بيطلقوه بالليل كان بيقطع السكه حتى ع الدوريه.. خلاصه الكلام.. الكلب دا كان عامل لى قلق من نوع غريب.

أنا بعون الله ماكانش فيه كلب فى البلد يستجرى يقف فى سكتى.. كلب خالى الشوادفى الرهيب أنا جعلت منه عبره فى البلد وفرجت عليه أمه لا إله إلا الله.. الأول ماكانش بينى وبينه إلا كل خير.. لأنى كنت يوميًا داخل خارج فى بيت خالى وهو كان بيعاملنى على إنى واحد من البيت وانا خارج وانا داخل يهز ديله ويتمسح فىَّ.. يعنى أهل.. وذات ليله أنا رايح بيت خالى أتاريه لامم جماعه صحابه وزانقين كلبه فى الضلمه.. ودا موضوع طبعًا مايخصنيش.. وأفاجأ باللى ناطط فى كرشى

على خوانه خلاً الجلابيه الجديده عباره عن هلاهيل! ومش كده وبس داه استمر فى الهجوم علىَّ وكأنى بينى وبينه تار بايت.

- يابن الكلب يا زباله.. وحياه أمك لأدمرك.

وقد كان.. قعدت أفكر له وأدبر له وأخيراً وجدت الحل فى سن إبره حطيتهوله فى حته لحمه شفته ورميتها له.. قعد تلات سنين يكح وانسقم وبقى هفيه لكل من هب ودب.. أولاً للعالم اللى ياما نط فى كروشهم وقطع هدومهم وثانيًا للكلاب اللى ياما ضربهم وكل نسوانهم وأخيراً طلعت روحه النجسه ومات فى ستين داهيه وكل البلد فرحت فيه وكل البلد كانت عارفه مين اللى قتله ماعدا خالى الشوادفى.. فى هذه الأثناء كانت زعامه العيال مقسومه بينى وبين غريب ابن أم تهامى.. فكانت عصابه غريب دايمًا يضربولى ع الوتر الحساس:

- تقدر على كلب كارنو؟

طبعًا اعمل مش سامع:

- لو إنت أبو عزت صحيح هات لنا مشمش من جنينه كارنو.

أغير موضوع الحديث فوراً.

- طب تقدر تعدى بالليل من ورا سرايه كارنو وتيجى على دار أبو هنداوى وتاخد بريزه.

أطنش أو أقول أنا مش محتاج فلوس من حد.

عرفت سعادتك سبب اهتمامى بكلب أهل الكهف بالذات دونًا عن الخمس أشياء اللى حيخشوا الجنه؟

وقبل ما أفكر أطلب من سيدنا يقول لنا ولوسطرين فى موضوع كلب أهل الكهف تطوع هو مشكوراً وسألنا:

- عارفين كلب أهل الكهف اسمه إيه يا خنازير ياولاد الخنازير؟

وردينا فى نفس واحد:

- لا يا سيدنا.

قال:

- اسـمه قطمـير يازوانى يـاولاد الزوانى.. وهو سيـد كلاب الأرض.. وإذا ذكـر ياهلف يابن الهلف إنت وهو.. لازم تقولوا عليه السلام.

وفوجئنا بسيدنا عمال يتطوح شـمال ويمين ويطلع رغاوى من بقه ويزعق بعزم ما فيه:

- يا حبيبى يا قطمير.. الصحبه ياسيد الكلاب.. قطمير.. قطمير.. قطمير.

وزعقنا فى نفس واحد:

- عليه السلام.

وابتسم سيدنا فى زهو ووطى على جلابية محمـود عرفه اللى كان نايم مسح فيها بقه من الرغاوى وسألنا بلهجه وديه:

- إنت عارف يا كلب يا ابن الـكلب إنت وهو.. لو كلب هجم عليك فى السكه وقلت له قطمير يعمل إيه؟

قلنا له:

- لا يا سيدنا.

ضحك وقال:

- يا عينى عليكو يا جهله.. يقف مطرحه عِدِلْ وينحنى لك باحترام لا تستحقه لا إنت ولا أهلك وممكن يديك ضهره تركبه.

أنا بعد كـده ماسمعتش حـاجه من أصله.. وأول ماخرجنا من الـكتاب أصدرت تعليماتى:

- ماحدش يروح.. لا من عصابتى ولا من عصابة غريب.

وقفوا العيال ساكتين يبصوا لى.. فقلت بكبرياء وثقه:

- أنا النهارده عازمكو ع الغدا.

العيال قعدوا يبصوا لبعض مش فاهمين حاجه فكملت:

- الغدا النهارده مانجه ومن جنينة كارنو.

وصرخ واد من عصابة غريب:

- ومين اللى حيجيب المانجه من تحت؟

ورديت بمنتهى الهدوء والعنجهيه:

- أنا.

وسأل واد من عصابتى:

- يالهوى.. والكلب؟

ابتسمت ابتسامه الواثق وبعدين ضحكت بألاطه وقلت ببساطه:

- ح اركبه.

وانفجرت عصابتى بالتهليل والتكبير:

- الله أكبر.. يدوم الحماس يابو عزت.. يدوم الحماس يادكر.. يدوم الحماس يا بطل.

وفضلوا يصحنوا لعصابة غريب على كفوفهم ويطلعوا لهم لسانهم إلى أن تحرك الركب الميمون فى اتجاه الهدف الجليل.. اللى هو جنينة كارنو.

واحنا ماشيين ماكانش حد فينا قادر يفتح بقه بكلمه ولا حتى يبص للى جنبه.. سكون مهيب إلى أن وصلنا بسلامة الله إلى الهدف المنشود.

دلدلنا روسنا من السور لقينا الزميل مربوط فى الشجره ونايم فى غفله ربه وما عندوش فكره باللى حيجراله.. وابتسمت فى سرى وقررت بمنتهى الحزم وضع حد

لأسطوره الكلب الذى لا يهـزم.. كنت واثق من سـلاحى لدرجة إنى قلت بصـوت مسموع:

- جالك الموت يا تارك الصلا.

وبحركه اسـتعراضيه رشيـقه قفزت على حافـه السور وحطيت ديلى فى سنانى.. مع ملاحظه إن الجلابيه ع اللحم.. وقلت للعيال:

- سقفه للنبى.

سقفوا.

قلت لهم:

- قولوا هيه.

قالوا:

- هيه.

قلت لهم:

- وكمان هيه.

قالوا:

- وكمان هيييه.

قلت لهم:

- سقفه شديده للنبى بقى.

سقفوا سقفه شديده.

وبحركـه مظليه مفـاجئه رحت ناطط بقـيت فى حضن الكلب وزعـقت فى وشه بثقه:

- قطمير عليه السلام.

ودى كانت آخر جمله سمعتها.

ما اعـرفش بقى فات قـد إيه؟ بعدهـا فقت لقيـت الخواجايه رامـيانى فى الـزريبه وبتدلق علىّ ميه سخنه بتغلى وبتدهن لى مرهم وشكلها قرفان من هدومى اللى بقت هلاهيل والدم اللـى بيشـلب من كل حـتـه فى جـسمـى وبتـرطن بالجـريجى بشكل مايطمنش وباضرب بعينى لقيت لك تلات عيال من عصابتى متكتفين فى حبل واحد ومرمـيين فى ركن من أركان الزريبه وماحـدش فيهم نفـسه طالع من الرعب.. ربك والحق أنا بدأت أخاف م المجهول.. وإذ بالمنقـذ العجيب والدائم اللى هو صوت أمى جاى من بره السـرايه وهى بتقـول جملتين لسه مش فـاهمهم إلى وقـتنا هذا.. كانت بتقول: - سلامتك يا شلبى!! سلامتك يا معجبانى!!